لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله وصحة نبوته ويتوب
الله على من يشاء ابتدا كلام واخبار بان بعض اهل مكة عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ
ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد
كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما
انتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول
الله والمومنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك وايضاحه متوقع كاين وان الذين لم يخلصوا دينهم يميز بينهم
وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين
غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القايل
ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله يعني
المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد
لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا
لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو اكد لان طريقه طريق الكناية كما لو
قلت فلان لا يقرا كتب الله كنت انفى لقراءته القران من تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان
يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا
اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا
سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى
بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن ابي طالب يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له القول
فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب
الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا
هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الصالحة الصحيحة اذا تبعها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا
عنهم ودل على انهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم انما يعمر مساجد الله وقرئ
بالتوحيد اي انما يستقيم عمارة هولا وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح
وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث
الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم ياتي في اخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا
ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة
الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني
في بيتي فحق على المزور ان يكرم زايره وعنه من الف المساجد الفه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد
فاشهدوا له بالايمان وعن انس من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملايكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوه
فان قلت هلا ذكر الايمان برسول الله قلت لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة
والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شي واحد غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان
بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلوة وايتا الزكوة فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله والمومن يخشى
المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضى الله رضى غيره لتوقع
مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والاخر حق نفسه ان يخاف الله فيوثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام

ويرجوها

ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء
وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها واملوا عاقبتها بان الذين امنوا وضموا الى ايمانهم العمل
بالشرايع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداوهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون انهم مهتدون ونائلون
عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمومنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله السقاية والعمارة
مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام كمن امن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد
الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمومنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد
ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود
انتم افضل وقيل ان عليا قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت
الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم
فيها خيرا هم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز
دونكم وقرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس
هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من امن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول
الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا اباءنا وابناءنا وعشايرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت
ديارنا وبقينا ضايعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا
ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس
اليه وقرئ عشيراتكم وعشيراتكم وقرا الحسن وعشائركم فتربصوا حتى ياتي الله بامره وعيد وعن الحسن هو فتح مكة
وعن الحسن عقوبة عاجلة او اجلة وهذه اية شديدة لا ترى اشد منها كانها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين
واضطراب حبل اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على
دين الله ما يستحب له دينه على الاباء والابناء والاخوان والعشاير والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله
ام يزوي الله عنه احقر شي منها لمصلحته فلا يدري اي طرفيه اطول ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما وقع
على انفه ذباب فطيره مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال وكم موطن لولاي طحت كما هوى باجرامه من قلة النيق منهوي
وامتناعها من الصرف لانه جمع وعلى صيغة لم يات عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية
وخيبر وفتح مكة فان قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين او في
ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان يراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا
بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح
لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار
اذكر وحنين واد بين مكة والطايف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم
الفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم اربعة الاف فيمن ضامهم من امداد ساير العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال
رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله وقيل قايلها رسول الله وقيل ابو بكر وذلك قوله اذ اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا
قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحارث ابن عمه

Copyright © King Saud University